

## من أجل بناء الذات الحوارية والوعي الحضاري (1)

### خاتمة و فاتحة وواصله وصله

الحمد لله الذي وفق إلى هذا المقام، وأتمه هذا التمام، وجعل من هذا الختام فاتحة لخير نالٍ وواصله إلى مثله وخير منه، وصلهً بيننا جميعاً، لا مجرد ختام.

إن منطلق فكرة هذه الدورة كان منطلقاً كاشفاً -بحق- كاشفاً لدور طالب العلم، ودور "السؤال"، ودور "الصدق في سؤال العلم"، دور كل ذلك في صنع الكثير.. هذه الدورة التي استمتعنا بها، وانتفعنا منها، إنما جاءت منكم وبسبب من صدق رغبة طلبة من "طلاب العلم ورغابه" في التعرف والتبصر والتعمق في أمور ظاهرها كان ملفتاً وباطنها كان يبدو غامضاً. ومن ثم نشكر هؤلاء الطلبة أو هاته الطالبات الكريمات، الذين/أو اللاتي -لا فرق- كانوا سبباً في هذا العمل المفيد والعلم النافع.

بناء على العناوين التي اقترحتها أستاذنا د. سيف الدين عبد الفتاح، والمخطط الذي أعده لهذه الدورة، ثم بناء على المناقشات التي أسهم بها الأساتذة المحاضرون في لقاء تحضيرى برئاسة أستاذتنا د. نادية محمود مصطفى، تقدمنا إليكم بالورقة الأولية ودعوة المشاركة مشفوعة بعناوين وجدول المحاضرات، وكنا حريصين على التواصل معكم بخصوص عمليتي الإعداد ابتداءً وبناءً، والتطوير نماءً وانتهاءً، فكانت ورقاتكم حول التوقعات من موضوعات وقضايا ومن إجابات عن أسئلة نائرة في الأذهان.

عبرتم مشكورين عن رغبة صادقة في التبصر بجملة من المفاهيم، وجملة أخرى من الأسئلة اختلفت في درجات تكرارها بينكم.  
(أ) المفاهيم:

1- دخلنا على هذه الدورة -ومن خلال عناوينها- ونحن بالأساس، نرغب في التبصر في المفاهيم الدائعة اليوم بالإضافة إلى المفاهيم المعنون بها: الوعي الحضاري، الذات الحضارية، صراع/ صدام الحضارات، نهاية التاريخ، حوار الحضارات، تجديد الخطاب الديني، الحضارة، الأمة مؤسسات الأمة (سيما الوقف)، وألوان الإسلام المفروضة: الأمريكي والأوروبي.

2- التعرف على موضوع رئيس بإشكالاته هو "الآن" أو الذات، و"الآخر" أو الحضارة الغربية بالأساس، وطبائع التفاعل بين الذات والآخر، وسنن التطور الحضاري وسنن الهبوط، ومسائل الهوية والانتماء والولاء، والتاريخ الحضاري.

3- مفهوم "التحديات" التي تواجهها الأمة الإسلامية، وما يرتبط بها من قضايا الفكر والممارسة مثل قضايا الإرهاب والجهاد، والمرأة، والمسلمين في الغرب.

(ب) أما أهم الأسئلة فتمثلت في:

1- طريق الفهم: كيف نفهم التراث؟ كيف نفهم النص؟ كيف نفهم التاريخ؟ كيف نفهم الواقع؟ وكيف نفسر تحديات الواقع؟ كيف نبي العقلية الواعية القادرة على استقبال المفاهيم والمستجدات والتفاعل معها إيجابياً؟ وما مصادر المراكمة المعرفية لفهم النصوص والوقائع.. إلخ؟ ولماذا المنظور الحضاري؟ وما طرق بنائه؟

**2- أسئلة الفعل والتفعيل:** أين الجهود المبذولة لتنزيل المرجعية على أرض الواقع؟ كيف نتحاور مع الآخر من غير منطلق "رد الفعل"؟ كيف نحافظ على الذات والتراث واللغة العربية ونرد على المطاعن والشبهات؟ وكيف يتم إحياء كل ذلك في واقعنا؟ وما دورنا -نحن الشباب- في هذا المضممار وكيف نعيد النظر إلى "الدين" لا كمجرد عقيدة وتعبد بل نتحول به إلى فاعل في العلوم وفي سائر مجالات الحياة المعيشة، بل تساءل البعض أو توقع البعض أن يجد (وهم اثنان) إجابةً عن:

كيف يقام نظام حكم ذو مرجعية حضارية (في مصر تحديداً)

هذه كانت مجمل أسئلتكم وتوقعاتكم بكل صراحة ووضوح .. فكيف سارت بها الدورة؟ خلال ثمان جلسات ثرية، وعبر الأيام الأربعة للدورة طرحت أماننا أو قل أرسلت علينا دفتات وإبراقات فكرية تختلف في وصفها، وقد أكون معبراً عن قطاع منكم حين أصفها بـ"المهمة والطيبة والضرورية". بدأت أستاذتنا الدكتورة نادية مصطفى ببيان أسباب الاهتمام التي وقفت وراء هذه الدورة من النظرة الأساسية إلى الشباب كهدف رئيس وفاعل في الحوار الثقافي، ومكّلف بالنهوض بهذا الدور، وضرورة التسلّح بالوعي بالذات الحضارية لمواجهة تحديات اللحظة، خاصة في سياق يقف فيه الشباب موقف المتّهم بالغياب أو بالعبث أو بالتطرف والإرهاب وما إلى ذلك.

ثم ألمحت إلى محتوى الدورة كما حُطّط له والغاية من هذه الحلقة في وضع كتاب منهاجي يدعم برامج التربية الحضارية المنشودة في قباله أو بمناسبة طرح برامج "التربية المدنية" على الساحة اليوم. حرصت أستاذتنا منذ البداية على بيان المركز المصري الوطني الجامع الذي لا يقصي المكونات الأساسية للنسيج الحضاري المصري والعربي والإسلامي في ظل "الجماعة الوطنية" ولا يراها دوائر متناقضة أو متضادة بقدر ما هي متحاضنة متضايقة وظيفياً.

ثم أشار أستاذنا د. سيف إلى ثقل المهمة، وأن "التثقيف" المقصود ليس كما هو شائع من خفة مدلول، بل هو عمل ثقيل بحسب المنطلق والغاية والمنهج، حين يكون القصد هو بناء عقلية فارقة ناقدة، تتداول علمًا حيًا تحيا به وتحيا به "أمتها"، بل "الإنسانية" جميعها.

جاءت محاضرة الحكيم البشري في مناهج النظر لتضع أماننا ابتداء الخطوط العريضة للفكر:

- المنهج: ضرورة الاعتناء بسؤال: كيف نفكر؟ وكيف نتناول الأفكار؟؟
- الحضارة: واشتمالها بالأساس على جانبي العلم وشغل الذهن، والوجدان وشغل النفس.
- التجديد: كإعادةٍ للشيء إلى سابق فعاليته؛ بما يعني العودة للأصول وإزاحة الوسائط والمعوقات الفاصلة.

- مفاهيم ملتبسة أو مغلوبة: كفكرة "الحضارة الواحدة" وما تحمله من دعاوى إلحاق وتببيع، وفكرة "المعاصرة" أو "العصر الواحد = أو وحدة العصر": التحق بي كي تلتحق بالعصر، والمداخل الأربعة للمعاصرة التي تنكسر في الآونة الأخيرة:

- التنظيم الديمقراطي وأفكاره.
- التكوين القومي (الدول-القومية).
- الإصلاح الديني.
- العدالة والاشتراكية اجتماعياً.

أضاف البشري إلى طرحه حول "المعاصرة" أن وضعها في حال سياقنا الراهن الذي وصفه بـ"الازدواج":  
الازدواج على كافة المستويات من الذرة إلى المجرة كأثر باق عن الاستعمار وقابلياتنا له ولما بعده ليستخرج من ذلك  
جوهر المسألة: المرجعية

المرجعية –عند البشري- نقطة اهتمام أساسية ينطلق منها منهج النظر في الأفكار، وفي الوقائع، حتى إذا  
رأى صراعاً رآه صراعاً مرجعياً، وإذا رأى ما يدعو للتفاؤل رآه من منظور العودة إلى "المرجعية الحضارية الذاتية"؛  
حيث أصبحت –كما يرى- أقدر على استيعاب الآخر، واستيعاب الشارد، واستيعاب المستجد.  
ومن منطلق المرجعية كذلك يحدد البشري منهج التفاعل البناء مع الوافد ومع الآخر:

أ- الفصل بين النموذج التنظيمي والأصل المرجعي؟

ب- الهضم داخل المرجعية: إعادة الصياغة بإضفاء الصبغة!

ج- التوظيف في إطار مصلحتي بعد تحقيقها وفق ضوابطها.

وأشار البشري في منتهى محاضراته إلى كلمات ذهبية بحق.

● إننا بنينا بيوتنا ومصانعنا تحت قصف المدافع والصواريخ: إنه فقه النوازل والعواصم من القواصم.

● إن واقعنا المجزء هو شكل آخر من أشكال احتلالنا.

● إن الاستعمار حالة وحال لا صورة تاريخية ولا مجرد أشكال.

ثم جاءت المحاضرة الثرية بكثافة، الغنية بكرم وأمانة والتي عرض فيها د. السيد عمر كتاب "الطريق إلى  
التراث" لفضيلة الشيخ د. علي جمعة ككتاب يقدم دليلاً على إمكانية التعامل المباشر مع التراث من خلال مفاتيح  
نمسك بها وتندرب عليها ويقدر ما نتمرس فيها بقدر ما تمنحنا من معين 14 قرناً من البناء والإبداع ثم من تجاوز  
التراجع الذي وقع بعد ذلك ردحاً من الزمان.

كانت المحاضرة كاشفة عن الفجوة بيننا وبين تراثنا، وعن إمكانيات تجسير هذه الفجوة بجسور أساسها صدق  
الرغبة والتجرد من مقولات القطيعة والقطع المبطل ومن مقولات التقديس المعطل، لكي نرفع شعار "نفهم أولاً.."  
ليطرح ثانياً أهمية المرجعية المتمثلة في النموذج المعرفي الإسلامي، وأهمية المنهج والمنهجية تلك التي يقف فيها علم أصول  
الفقه بنظرياته السبع (سباعية علي جمعة) والدائرة حول نظرية قلب هي "نظرية الحكم" .. يقف موقف الشاهد الأكثر  
بروزاً على العقل التراثي الممنهج.

وكان تعليق د. سيف الدين عبد الفتاح على هذا الشأن وعلى مداخلات حضراتكم مهتماً حين أشار إلى  
حاجتنا إلى "حب" التراث، وعدم الانكفاء عنه أو الاكتفاء بثقافتنا السماعية حوله، مفرقاً بين التعميم عن علم  
والتعميم عن بُهت وافتراء بلا سير ولا نظر ولا استقراء.

كان اليوم الثاني مليئاً بالخيرات حيث وضعت أستاذتنا د. نادية مصطفى مسألة "الأمة" والاستقطاب الفكري  
–ومرة ثانية: المرجعي- حولها في كافة الأطر الممكنة، وطرح الأسئلة الكبرى الحادة والمعتدلة إزاء "الأمة" سواء كدائرة  
انتماء أو ولاء، أو دائرة نظر ووعي واهتمام، أو دائرة فعل وحركة ونشاط، أو دائرة تاريخ وذاكرة؟ أو دائرة قيم وفكر  
وعلم ومنتج حضاري جامع- لتنتهي إلى دائرة مهمة ترى منها الأمة وهي: دائرة الواقع الراهن؛ سواء في مجال العلوم  
سيما علم العلاقات الدولية وتطورات منظوراته،، أو في مجال الممارسة التي برزت فيها أهمية الأبعاد الحضارية والثقافية  
في تشكيل السياسات وأدوات السياسات العالمية.

أشارت د. **نادية مصطفى** إلى أننا نتعامل اليوم مع الأمة في سياق مختلف عن حالها عبر التاريخ، فهي اليوم أمة بلا دولة منذ أن سقطت دولة الخلافة قبل ثمانين عامًا.

ومن ثم فإن إعادة قراءة واقع الأمة واستحقاقات الاهتمام بها في علومنا ومعارفنا تتطلب قراءة كلية شاملة: قيمية، سننية، تاريخية، فكرية تراثية ومعاصرة، واقعية. إن الفكرة الرئيسية هي أن منظورًا آخر في النظر في العلاقات الدولية، منظورًا يعني بالقيم والخصوصيات الحضارية هو أمر مطلوب إلى درجة الضرورة، ليس فقط من منطلق المرجعية، إنما أيضًا مما تفرضه تطورات الواقع، ذلك المنظور الذي يتشكل في تفاعل مع المنظورات الراهنة، له منطلقاته ومبرراته ودوافعه، وله عالم مفاهيمه وعالم قابلياته، وعالم مناهج ليس منفصلاً وإنما متميزًا، فالقوة فيه ليست تلك المادية أو الخالية من القيم، والصراع فيه تكتنفه قيم وسنن التدافع والابتلاء بالخير والشر، والدول فيه ترى في إطار أو ضمن مستوى هو "الأمة"، والحرب تحمل قيمة فتصير جهادًا مشروطًا مضبوطًا.. الخ. والعلاقة فيه مع الآخر تحمل رسالة فتصير مؤسسة على "دعوة للعالمين"، والتاريخ فيه لا يبقى هاملاً مهملاً، إنما معملاً مفعلاً تفعيلاً تجريبياً بالتجريب فيه ومنه وعليه. إننا إذ لا ننكر على الآخرين انطلاقتهم من منظوراتهم نسعى ولا نرى حرجًا أن ننطلق من منظورنا المعبر عن حضارتنا وثقافتنا وذاتيتنا وعن أمتنا.

ثم أشارت عنايتها إلى طرف من تحديات تجسد واقع الأمة في فعلها وانفعالها.

جاءت محاضرة د. **إبراهيم البيومي غانم** لتستكمل المسار: فمن منهج النظر والمرجعية، ومن التراث، ومن الأمة والمنظور الحضاري، نصل إلى مفهوم مهم دامج بين ذلك؛ هو مفهوم "الاجتماع الإسلامي": أو صورة الحياة كما تريدها مرجعية الإسلام، ومنظوره الحضاري وقيمه ونظمه، وكما كشفت عنه الحضارة عبر مجمل تاريخها. ذلك الاجتماع الذي قصد بالأساس إلى غاية أساس: هي إقامة شبكة علاقات اجتماعية تراحمية بين عموم الناس، مشيرًا إلى الطابع "الإنساني" "الإحساني" لهذا الاجتماع. لقد تمثل ذلك في الأفكار والقيم و..و.. كما تمثل في شاهد مرئي مشهود عبر تاريخ هذه الحضارة هو "النظم" التي سميها "مؤسسات الأمة". ومنها "الوقف".

قدم د. إبراهيم المداخل والطرائق الممكنة لفهم نظام الوقف بين التعميق رأسًا، أو التركيز على جانب دون غيره، أو المقارنة، أو المنهج النقدي، مشيرًا إلى مشكلات تواجه منهج المقارنات والمقاربات ومنهجها إلى ضرورة تلافيتها.

عرض د. **إبراهيم** للخبرة الغربية في الوقف وأساسيات العمل الغيري ذي الاعتبارات المادية النفعية الرأسمالية التي يصعب بتبويرها ثقافيًا بالمعنى المعنوي، وأوضح بالأرقام المرجعية البراهمانية، ذات الأمر الذي فعل مثله مع الخبرة الحضارية الإسلامية من تعريف الوقف (حبس الأصل وتسهيل الثمرة) تعريفًا منفصلاً: الواقف والموقوف عليه (الأغراض والأصل والثمرة وسبب الوقف (القربى من الله تعالى) ونماذج من حجج الوقف.

الكاشفة والدالة على الطبيعة المعنوية والقيمية الراقية لهذا النظام في هذه الحضارة خاتماً بدلالات مهمة انتهت

بسؤال كيف يمكن أن تفعل الوقف ثانية بتأسيس فقهي مجدد؟

يوم أمس افتتح بمحاضرة ضافية لأستاذنا د. **سيف** عرض فيها لـ "نموذج تفكير وتسيير وتغيير وتأثير"، نموذج

نفكر به، أو ينبغي أن نفكر به، وننقد به، ونشعل ونقوم أشغالنا به، نموذج القاصد.

ينطلق نموذج المقاصد من رؤية كلية جامعة تقوم على (سباعية سيف الدين عبد الفتاح)

(عقيدة وشرعة وقيم وأمة وحضارة وسنن ومقاصد)

(دافعة رافعة حاكمة جامعة فاعلة قاضية حافظة)

ومن هذه السباعية جاءت سباعية المقاصد: في الحفظ، والمجالات، والأولويات والمآلات والضرورات والضرر، والموازات،.. في منظومة عقلية عالية عميقة التفاصيل، يكتنفها "وسط" جامع. هذه المنظومة أتاحت لنا الشهادة على عقلية فارقة تفرق بي: ن

1- الضروري والحاجي والتحسيني.

2- بين العام والخاص.

3- بين الحال والمؤجل.

4- بين ما يمكن تداركه وما لا يمكن تداركه.

5- بين المفسدة/المضرة، وبين المصلحة/المنفعة.

6- وبين المضر والأضر والأهون ضرراً.

.. منظومة واسعة تمثل الميزان وتربي الوزان، وتدرنا على عمليات الوزن بالقسط والقسطاس المستقيم.

خرجنا من المحاضرة لا بشيء إلا بالرغبة في المزيد من التعميق والتعرف والتفعيل، خاصة في ظل وجود مشابهاً غربية ربما لا يُفصّل فيها هذا التفصيل كإدارة الأزمات، والدعوة إلى تشغيل مثل هذا النموذج المقاصدي في أزمات الداخل والخارج.

استكمل "الفكر المنظومي" عرض متفرد للأستاذ/ شريف عبد الرحمن حول "السُنن الإلهية" وأهمية التفكير النظري أولاً لتشكيل عالم الوعي كشرط لضبط عالم السعي... إن بناء معمار العقل كفيل بنفي العبثية والعشوائية والتعسفية؛ الأمر الذي يصنعه غياب النظرية، أو اعتناق النظرية الجامدة، ليقدّم الأستاذ شريف مفهوم "النظرية المرنة Flexible" ويدرج "الفهم السُنني" في إطارها. كشفت السُننة عن تلازم الفعل الإلهي والفعل البشري، والتفرقة بين تجليات السُننة عبر التاريخ والسياقات، كي نراها في الحال ونستشرفها في المآل؛ والتفرقة بين التحليل والتفسير، بين التفكيك والتفكير الارتباطي.. هذه النماذج التفكيرية أثارت عندنا العديد من الأسئلة؛ بعضها من باب إمكانية الجمع والوصل بين هذه الثنائيات، وبعضها من باب استمرار الرغبة في مزيد من تعميق هذا العرض وتوسيع مساحته الزمانية. وأخيراً جاء اليوم الأخير جامعاً بين الاستمتاع العلمي والمعرفي والمنهجي، وبين التنشيط النفسي لضم السعي إلى الوعي، والتحرك في الواقع بألية (سيروا وانظروا)، فقدمت د. هبة رؤوف عرضاً متميزاً لكشف طبائع البحث العلمي، وكيف يتعامل الباحث الأكاديمي مع ظواهر الحياة، متقدمة ثقافة أكاديمية معوقة، وكيف يتخلص طالب المعرفة من سلبيات كهذه من خلال الانطلاق من الواقع، والإخلاص في الطلب واعتبار الإنسان الراغب في هذا السبيل نفسه مشروعاً يتطور ويحيا العلم همّاً حياتياً، يمارس الملاحظة والتجربة والتحليل والتفسير والسؤال والاستقصاء وجمع البيانات.. إلخ، كعَيْش مستديم غير منقطع أو متقطع، أعادت تعريف الكثير من المفاهيم بسهولة ومهارة استدعت منكم التساؤل حولها كإعادة تعريف "السياسي".. وكشفت عن قزحيات التراكم المعرفي الممكنة بالبدء من الواقع إلى التنظير والعكس، لتصل في النهاية إلى أنه في عصر الجماهير الغفيرة من الضروري جداً أن نعمل مع الناس وأن نغيّر بهم لا مجرد أن ندرس الظواهر والناس عن بعد.

ثم كان ختامه مسكاً، باستكمال فكرة "الخبرة البحثية" وما يتكشف فيها من مقتضيات النظر المنهجي، والنظر المرجعي لكشف الأبعاد الحاكمة للأفكار من قبيل ما استخرجته المقارنة التي عمقتها أ. أماني غانم بين المنظورات الوضعية السائدة في علم العلاقات الدولية والمنظورات البازغة، بالتنبية إلى ارتفاع نسبة المعنوي أو الثقافي والحضاري في هذا المجال.. الأمر الذي كشف لنا من قريب ومن بعيد أو كل من كل جانب كيف أن الذات الحضارية الإسلامية

صارت في قلب المعتزك الحضاري، وأن معركتي الصدام والحوار قد فرضتا علينا ولا سبيل للفرار من أيٍّ من ميدانيهما.. إن هذا العرض الأخير رغم أكاديميته وانصبابه في العمل البحثي، إلا أنه يكشف لنا في النهاية كيف كنا في حاجة إلى هذه الدورة، للتعرف على الذات الحضارية في تفاعل مع التعرف على الآخر، وفتح النوافذ أمام إجراء حوار إيجابي مع سائر مكونات الذات، ومع الآخر بأطيافه..

والله ولي ذلك والقادر عليه

\*\*\*\*\*

من هذا العرض ومن مداخلاتكم الكريمة التي جمعت بين السؤال والتعليق والاعتراض والمطالبة، ومن أوراق "المستفاد من الدورة والمنتظر منها أو المأخوذ عليها" والتي كشفت عن نقاط نُحتم في ورقنكم الأخيرة في إنجازها لتكون منطلق دورات أخرى نقف عند هذه النقطة لنقرر:

(\* ) إنها ليست خاتمة:

بقدر ما كشفت الدورة من تقصيرنا أو قل تقصير الأستاذ نحو اكتشاف تلميذه وحفره ورفعته وتركيزته؛ بقدر ما كشفت لنا عن مناطق سعي مهجورة لا بد من شغلها والشغل فيها.

ومن هنا قلنا إنها ليست خاتمة بل بادئة وفتاحة:

- فتاحة نستهل بها دورات أخرى قادمة تعقد على مدار العام مرتين.
- وفتاحة لكم للبناء على ما استفدتموه من هذه الدورة أيًا كان الموقف من الأفكار والمفاهيم.. إلا أن الفوز الأكبر هو بروز الرغبة في دواخلنا للانطلاق والبناء والتبصر ونظم العقل في منهج فكر واضح مبين، لا أن نتركه خلف غايات من الغموض والعبث.
- وهي أيضًا واصلة ستصلنا بالأصل والأصول، ومن رام الوصول.
- انطلق من الأصول وهي صلة بيننا بحيث إننا نرغب في استمرار التواصل بيننا من كل طريق عسانا ننتفع بكم ونكون معكم عبر المسير.

ولكم جميعًا وافر التقدير

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

\*\*\*\*\*